

أحاديث رمضان ١٤٢٧ هـ - صلاح الأمة في علو الهمة - الدرس (٢٢-٦٠) : علو الهمة في صحبة المؤمنين  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٦-١٠-٠٤

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.  
أيها الإخوة الكرام، مع درس جديد من دروس صلاح الأمة في علو الهمة.

#### من أسباب علو الهمة مصاحبة المؤمنين:

يبدو أن أحد أكبر أسباب علو الهمة أن تكون مع المؤمنين، أن تحيط نفسك بجو إيماني، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا

مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]



كن معهم، أثر اللقاء بهم عن أي لقاء

آخر، أثر صحبتهم عن صحبة أهل الدنيا، أثر أن تعمل معهم عن أن تعمل مع فئة أخرى، لأن الجماعة قوة، والفرقة عذاب، الآية الكريمة منهج:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة: ١١٩]

كأن الآية تقول: لن تستطيعوا أن تتقوا الله إلا إذا كنتم مع الصادقين، من هنا تأتي الآية الكريمة:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ

زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾

[سورة الكهف: ٢٨]



أيها الإخوة، السالكون إلى الله من قديم الزمان معهم هذه النصائح، أن يكونوا مع المؤمنين

(( لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل

طعامك إلا تقي ))

[ أبو داود، الترمذي عن أبي سعيد ]

نحن في هذا الزمان الفتن كما ترونها مستعرة، والطرق ممتلئة بالمعاصي والآثام، واللقاءات مفعمة بالاختلاط،

فأينما ذهبنا، وحيثما نظرت تجد المعاصي تنتهك على قارعة الطرقات، لذلك يجب أن نحسن أنفسنا في هذا الزمن الصعب، أن نكون مع بعضنا بعضاً، أن تؤوي إلى إخوانك، حتى لو أردت التنزه فليكن هذا التنزه مع إخوانك، حيث الانضباط، وعدم المزاح الرخيص، ولا المغامرات التي لا ترضي الله، أحياناً الإنسان يتأثر أشد التأثر بمن يحيط به، لذلك الآية الكريمة:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾

[ سورة هود: ١١٢ ]

و الآية الثانية:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾

[ سورة النور: ٣١ ]

## لا تقطف ثمار الإسلام بتطبيقه من قبل المجموع:

إذا تبتم جميعاً بتشكّل مجتمع مؤمن منضبط.

كمثل بسيط: لو ذهبنا إلى العمرة، وأقمنا أياماً عديدة، أو أسبوعين، أو أكثر في مكة والمدينة، لأن الحجاب هناك إلزامي، ولأن المرأة قلماً يبدو منها شيء تعيش جواً رائعاً وصافياً لأسبوعين، إذاً ما معنى:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً ﴾

[ سورة النور: ٣١ ]

رأي هذا المنهج العظيم لا تقطف ثماره إلا إذا طُبّق من قبل المجموع، الذي يحصل أن معظم الناس لا يطبقونه، لذلك يكون المؤمن غريباً:

## (( بدأ الدين غريباً و سيعود كما بدأ فطوبى للغرباء ))

[ مسلم عن أبي هريرة ]

### الاستقامة حدية والبذل نسبي:

النقطة الدقيقة الثانية أن الله عز وجل حينما يقول:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾

[ سورة هود: ١١٢ ]

والاستقامة حدية لا تفاوت فيها بين  
استقامة الأنبياء واستقامة المؤمنين، لأن  
الأعمال الصالحة نسبية، البذل نسبي،  
هناك من يبذل مبلغاً، هناك من يبذل  
مبلغاً أكبر، هناك من يبذل وقتاً، البذل  
نسبي متفاوت، أما الاستقامة فهي حدية.



عندما يتفلسف الناس كن مع إخوانك المؤمنين

أوضح مثل أن المستودع يوصف بأنه

محكم، والإحكام حدي، معنى محكم أن المواد التي فيه لا يتسرب منها شيء إطلاقاً، هذا هو  
المحكم، الإحكام حدي، أما إملاء هذا المستودع، فقد تملأ نصفه، ربعه، ثلثيه، هذا نسبي،  
والاستقامة يستوي فيها الأنبياء والمؤمنون، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

(( إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ))

[ مسلم عن أبي هريرة ]

وكلما تفلت الناس، وكلما شاعت الفتن، وكلما عمت الضلالات، وكلما تكلم بأمر الدين من ليس  
أهلاً له اشتدت الحاجة إلى أن تكون مع إخوانك المؤمنين.



بالإيمان استقامة، وصدق، وعفة،  
وأمانة، هذا الحد الأدنى من المؤمن،  
فذلك:

﴿ فَاسْتَقِمْ ﴾

[ سورة هود: ١١٢ ]

الكلام يخاطب به النبي عليه الصلاة  
والسلام، ولا يغيب عنكم أنك إذا قلت  
أي خطأ في استقامتك يحجبك عن الله

علو الهمة في صحبة المؤمنين

للمجتهد: اجتهد، معنى ذلك أي تابع اجتهادك:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

[ سورة هود: ١١٢ ]

(( إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ))

[ مسلم عن أبي هريرة ]

طبعاً إعطاء حقنة من قبل ممرض لا بد من تعقيمها، ثم لا بد من تعقيم مكان إعطائها، ثم لا بد من وضع قطعة القطن إلى حين حتى ينقطع خروج الدم، هذا العمل يفعله أقل ممرض، وأكبر طبيب جراح حدية، الاستقامة حدية لا تفاوت فيها، أما العمل الصالح فنسبي. النقطة التي ذكرتها كثيراً ؛ أن الإنسان أي عمل صالح يرقى به، لكن أي خطأ في استقامته يحجبه عن الله عز وجل، من هنا جاءت الآية:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

[ سورة هود ]

### من نتائج صحبة الشارد الغافل:

الإنسان الشارد عن الله، البعيد، الغافل، منقطع، في قلبه ظلمة، وفي نفسه شهوات مستعرة، وطموحات دنيوية، قد أخرج الآخرة من حساباته، لكن ما نتائج صحبة هذا الإنسان ؟  
يحببك بالدنيا، ويبغضك بالآخرة.  
يزين لك المعصية.  
يزين لك الغفلة.  
يزين لك اقتناص الشهوات.



والإنسان ضعيف:

﴿وُخْلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

[ سورة النساء: ٢٨ ]

لذلك أن تكون في مسجد، أن يكون لك إخوان مؤمنون، هذه من نعم الله الكبرى:

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

[ سورة هود: ١١٣ ]

رأحياناً كما يقول بعض العلماء: أولياء أمتي إذا رؤوا ذكر الله بهم.

لقاء المؤمنين راحة وسكينة:



حينما تلتقي بأخيك المؤمن، وأخوك المؤمن مستقيم، أخوك المؤمن متصل بالله، في قلبه سكينه، وفي قلبه راحة، وفي قلبه توازن.

حينما تحبه أو تصاحبه يتسرب إليك من أحواله بعض الشيء، لذلك دون أن تشعر تقول أحياناً: والله جلسنا جلسة كأننا في الجنة، أية جنة؟! هذه بيت عادي، أثاث أقل من عادي، لا ضيافة

فيه إطلاقاً، ولا كأس من الشاي، أين هي الجنة؟ الجنة أخوك الذي تجلس إليه الموصول بالله، وصلته بالله استدعت السكينه من الله، فإذا أحببته أخذت منه شيئاً، لذلك:

**(( لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي ))**

[ أبو داود، الترمذي عن أبي سعيد ]

ولا تصاحب إلا من ينهض بك إلى الله حاله، ولا تصاحب إلا من يدلك على الله مقاله. وأقول لكم مرة ثانية: كلما انتشرت الفتن والتقلت والإباحية شعرنا بحاجة كبيرة إلى أن نكون مع بعضنا بعضاً.

يقول لي بعض الإخوة الكرام: فاته درس من الدروس، ويستطيع أن يصل، ولكن بعد صلاة العشاء، مثلاً، يقسم لي بالله لمجرد أن يرى إخوانه، ويلتقي بهم، ولو لقاء عابراً ترتاح نفسه، إن صح التعبير هناك إشعاع يصدر من نفس المؤمن، فأني إنسان صاحبه يشفق من هذا الإشعاع، الراحة النفسية التي نجدها عند المؤمنين سببها أن هؤلاء اتصلوا بالله، نفوسهم صافية، لا يضمرون غلاً لأحد، ولا حقداً، ولا يكذبون، ولا يخونون، ولا ينحرفون.

أيها الإخوة الكرام، العمل الذي ترتزق منه إذا كان مع المؤمنين فأنت الراجح الأول، ولو كان ضئيل الدخل، والذي يحصل دائماً أن إنساناً وجد في بيئة غير منضبطة أول الأيام يستتكر، لكن بعد حين يألف الانحراف، ثم يحب الانحراف، ثم ينحرف، بالتدريج، لذلك صاحب المؤمنين، الآية الدقيقة:

**﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**

[ سورة التوبة: ١١٩ ]

**﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾**

[ سورة هود: ١١٣ ]

حدثني أخ تسافر فتاة، ولو أن سفرها مع زوجها إلى بلاد بعيدة، أول شهر هناك ورع، وتمسك شديد، وخوف من الله، وأداء للصلوات متقن، بعد شهر تستمرى الحياة الغربية، لا يمضي عام إلا وهي متقلبة نوعاً من التقلت، البيئة لها أثر كبير، لذلك أنا أتمنى عليكم أن تتبها إلى أولادكم، أكبر سؤال مقلق للأب: ابنك من يصاحب؟

## تحذير رباني: وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

والله أستمع إلى بعض القصص ينزع القلب لها، شاب مؤمن مستقيم يحفظ كتاب الله صاحب شاباً فاسداً منحرفاً، شككه في أصل الدين، وترك الصلاة، وترك الصيام، البيئة خطيرة جداً، وهذه آية البيئة:

﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

[سورة هود: ١١٣]

أحياناً بيوتهم فخمة، اللقاء في فندق ذي خمس نجوم، نساء كاسيات عاريات، هذا الجو يبعدك عن الله عز وجل، لذلك احرص أن تكون مع المؤمنين، احرص أن تعمل معهم، احرص أن تلتقي بهم، احرص أن يكون اللقاء بهم شحنة روحية لك، و الأصح أن تصاحب من تفوق عليك في الدين، صاحب من ينهض بك إلى الله حالك، وصاحب من يدلك على الله مقاله:

﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾

[سورة هود: ١١٣]

## نارُ البعد:

نار البعد، في الدنيا جنة هي جنة القرب، وفي الدنيا نار هي دار البعد، وأكبر عقاب من الله عز وجل أن يحجبك عنه:

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾

[سورة المطففين: ١٥]

## القرآن يحث على اجتماع المؤمنين:

إذا قرأت القرآن الكريم تجد أن هناك آيات كثيرة على أن تكون مع المؤمنين:

﴿فَأُوُوا إِلَى الْكُهْفِ﴾

[سورة الكهف: ١٦]

الآن كهفك بيتك، وكهفك جامعك ومسجدك:

﴿فَأُوُوا إِلَى الْكُهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقاً﴾

[سورة الكهف: ١٦]

## وجوب إصلاح ذات البين:

أيها الإخوة الكرام، الآن هذا الأخ المؤمن يجب أن تحرص عليه، يجب أن تحرص على سلامة العلاقة معه، قف عند حدودك له، حاول أن تلمس له عذراً، حاول أن تقدم له خدمة، حاول أن تتفقه، حاول أن تسأل عنه، هذا كله يمتن العلاقة.

أحياناً أجد أن هناك علاقة متينة جداً بين الإخوة المؤمنين، وهذا شيء مفرح، وأحياناً تجد العلاقة ضعيفة، أو فيها شيء من التباعد، أو شيء من النقد، لذلك قال تعالى:

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾

[ سورة الأنفال: ١ ]

### مراتب إصلاح ذات البين ثلاثة:

وهذه الآية تفهم على مستويات ثلاثة، أصلحوا ذات بينكم، أصلحوا علاقتكم مع الله، و أصلحوا ذات بينكم أصلحوا علاقتكم مع الخلق، وأصلحوا ذات بينكم، أصلحوا أية علاقة بين اثنين، فهذا الذي أتمنى أن ينهض بنا جميعاً، أن نأوي إلى بيوت الله، أن نأوي إلى إخواننا، والفرق كبير جداً بين صاحب مؤمن وصاحب غير مؤمن، وحينما تمر بتجربة أنك سافرت مع غير المؤمن تجد الأثره عنده، تجد أنه يبتغي الراحة دون أن يعمل شيئاً، تجد أنه قد يمزح مزاحاً سيئاً، لكنك إن صاحبت المؤمن تجد منه العفة والاستقامة والأمانة.

﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾

[ سورة هود: ١١٣ ]

الظالم بعيد عن الله عز وجل، محجوب، مظلّم، ولاحظ أنك أحياناً تدخل بيتاً فخماً جداً، لكن صاحبه مظلّم، تحس بانقباض، وقد تدخل بيتاً متواضعاً جداً، لكن صاحبه متصل بالله، فتشعر براحة، ابحث عن من ينهض بك حاله ومقاله، وهذه الآيات تؤكد هذا، ودائماً وأبداً ضعف الإيمان علاجه أن تحيط نفسك ببيئة إيمانية، بجو إيماني، بجو القرآن، بجو الأدب، بجو العلوم، و يوجد مجتمعات أخرى متقلّبة، و الحقيقة أن الطريق الذي يوصلك إلى أن تتصل بالله، وأن تملك هذه السعادة:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾

[ سورة هود: ١١٤ ]

### من أسباب وحدة المسلمين:



مرة ثانية الصلاة عماد الدين، كان عليه الصلاة والسلام إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة، الصلاة أحد أسباب وحدة المسلمين أنت موصول، وأخوك موصول، والقواسم المشتركة كبيرة جداً، وتحتل أكبر مساحة، إذا المودة قائمة، والذي يؤكد هذا المعنى أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول  
**(( ما تواد اثنان ففرق بينهما الا بذنب يحدثه أحدهما ))**

[أحمد عن ابن عمر]

أنت باستقامتك تحب أخاك، وباستقامة أخيك يحبك، فالاستقامة هنا:

﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾

[سورة هود: ١١٢]

الطغيان مجاوزة الحد:

﴿ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ \* وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾

[سورة هود]

أي اجعل لقاءاتك مع المؤمنين، لا تركز إليهم، طبعاً:

﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾

[سورة المنافقون: ٤]

قد تعجب ببيتهم، بأناقتهم، بأذواقهم، لكنهم متفلتون، منقطعون عن الله عز وجل.



## علو الهمة يحتاج على حمية اجتماعية:



إن علو الهمة يحتاج إلى حمية اجتماعية، فكلما جلست مع المؤمن تجلّى الله عليك وعليه، لذلك:

(( الجماعة رحمة، والفرقة عذاب ))

[مسند أحمد عن النعمان بن بشير]

(( عليكم الجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين

أبعد ))

[الترمذي، أحمد عن ابن عمر]

(( وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية ))

[الحاكم عن أبي الدرداء]

جرب السفر مع مؤمن، هو حصن لك، وأنت حصن له، السفر مع مؤمن مسعد يؤثرك وتؤثره، يعاونك وتعاونه.

إنّ الهمّ الأول أن تعيش في جو، إيماني إذا تمكنت أن يكون عمك مع المؤمنين فهذا شيء رائع جداً، تمكنت أن يكون وقت راحتك مع المؤمنين شيء رائع جداً.

## منهج إلهي:

هذه الآية منهج:

﴿فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾

[سورة هود: ١١٢]

أي كن مع المؤمنين:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾

[سورة هود: ١١٣]

أي نار؟ نار البعد، لذلك في الدنيا جنة هي جنة القرب، وفي الدنيا نار هي دار البعد.

والحمد لله رب العالمين